علماء العرب والإسلام

٧

الكندي
فيلسوف الإسلام

عبد الرزاق كيلو

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فَيْلَسُوفُ الإِسْلامِ

لُقِّبَ الْكِنْدِيُّ «بِفَيْلسُوفِ الإِسْلامِ» ، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ حَاولَ التَّوفِيقَ بينَ الشَّريعةِ والفَلْسَفَةِ ، وشَرَحَ الفَلْسَفَةَ شَرْحاً يَتَوَافقُ مَعَ أُصُولِ الشَّرِيعةِ السَّمْحَةِ ، ودَافعَ عن الفَلْسَفَةِ ، وقرَّبَها إلى أَفْهامِ العَامَّةِ ، بَعْدَ أنْ كان كَثِيرٌ من النَّاسِ في عَصْرِهِ يَظُنُّونَ أنَّ الاشْتِغالَ بالفَلْسَفةِ يُؤَدِّي إلى الكُفْرِ والإلْحَادِ والزَّنْدَقَةِ . كما لُقِّبَ أيضاً «بِفَيْلَسُوفِ العَرَب» لأنَّه أوَّلُ مَن اهْتَمَّ بدِراسَةِ الفَلْسَفةِ مِنْ مُفَكِّرِي العَرَبِ ، وأوَّلُ مَنْ قامَ بِتَرْجَمَتِها من

اليُونَانِيَّةِ والهِنْدِيَّةِ إلى العَرَبيَّةِ ، ووَضَعَها بأُسْلُوبِهِ في القَالبِ المَقْبُولِ.

ومِنْ ثَمَّ أَقْبلَ فَلاسِفةُ ذلكَ العَصْرِ على إنْتاجِ «الكِنْديِّ» إقْبالاً لا نَظِيرَ له؛ لحُسْنِ اخْتِيارِه للكُتُبِ الَّتي تَرْجَمَها وشَرَحَها.

فَمَنْ هُو «أبو يُوسُفَ ، يَعْقُوبُ بنُ إسْحاقَ الكِنْديُّ»؟.

ابنُ الأُمَراءِ
وحَفِيدُ المُلُوكِ

أَجْمَعَ النَّسَّابُونَ على أنَّ «أبا يُوسُفَ يَعْقُوبَ بنَ إسْحاقَ الكِنْدِيَّ» هو الفَيْلَسُوفُ الذي وُلِدَ في الكُوفةِ سنة ١٨٥ هِجْريَّة ، مِنْ آل كِنْدة ، مِنَ الأُسْرةِ القَحْطَانِيَّةِ العَرَبيَّةِ العَرِيْقَةِ؛ الَّتي حَكَمَتِ

اليمنَ لِمُدَّةٍ طَوِيلةٍ مِنَ الزَّمنِ ، وكان جَدُّه الخامسُ «الأَشْعثُ بنُ قيسٍ» مَلِكاً على اليَمَنِ في الجَاهِليَّةِ ، ولَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ جَمَعَ «الأَشْعثُ» وفداً من الكِبار ، وجاءَ مع قَوْمِهِ ، وقد لَبِسُوا أَفْخَرَ الثِّيابِ الحَرِيريَّةِ ، وأَتَوْا إلى النَّبِيِّ ﷺ في مَكَّة ، فَعَرَضَ عليهمُ النَّبيُّ الكريمُ الإسْلامَ فَأَسْلَمُوا... فأشارَ النَّبِيُّ الكَرِيمُ إليهمْ بِخَلْع الثِّيابِ الحَرِيريَّةِ لأنَّها حَرَامٌ على الرِّجالِ ، فَقَامُوا بِخَلْعِها ورَمْيِها ، تَلْبِيةً وطَاعةً لأَمْرِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ وتَخَلَّى «الأَشْعَثُ» عن مُلْكِه ، وصارتْ مَمْلَكَتُه «اليمنُ» إمارةً إسْلاميَّةً تابعةً لِلدَّولةِ الإسْلاميَّةِ؛ الَّتي أَقَامَها الرَّسُولُ الكَرِيمُ

في المَدِينةِ المُنَوَّرةِ ، ثُمَّ اتَّجهَ الأَشْعثُ إلى الكُوفةِ مَعَ الجُيُوشِ الإسْلامِيَّةِ ، وأقامَ فيها ، واشْتَرَكَ في كَثِيرٍ من المَعَارِكِ الإسْلامِيَّةِ ، وأَبْلَى بَلاءً حَسَناً في سَبيلِ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى ، حتَّى إنَّ «سعدَ بنَ أبي وَقَّاص» رَضِي اللهُ عنه اخْتَارَ «الأَشْعَثَ» مِنْ ضِمْنِ الوَفْدِ الَّذي أَرْسَلَهُ إلى مَلِك الفُرْسِ؛ لِيُفَاوِضُوه على دُخُولِ الإسْلام ، أو الحَرْب ، والقِتالِ...!

أمَّا ابْنُه «عبدُ الرَّحْمنِ بنُ الأَشْعَث» فَقَدْ تَوَلَّى إمارةَ الموْصِل في عَهْدِ الخَلِيفة الأُمويِّ «يزيدَ بنِ مُعاويةَ».

وأمَّا «مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ الأَشْعَثِ» الجَدُّ الثَّالثُ للكِنْديِّ ، فكانَ

قَائِداً على جُيُوشِ الأُمَوِيِّينَ في البَصْرةِ والكُوفةِ ، وبَعْدَ ذلكَ مالَ إلى شِيْعةِ «عليِّ ابنِ أبي طالبٍ» كَرَّم اللهُ وَجْهَهُ... فَجَرتْ بينَه وبين الوالي الأمويِّ في العِراق «الحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ» مُنَاوشاتٌ ومَعَارِكُ عَدِيدةٌ ، انْتَهَتْ بقتلِ «مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمن» ومُصَادرةِ مَالِهِ.

أمَّا إسحاقُ «والدُ الفَيْلَسُوفِ» الكِنْدِي: فَقَدْ كانَ مُقَرَّباً من الخَلِيْفةِ العَبَّاسِيِّ «المهدي» فَعَيَّنُه أَمِيْراً على الكُوفةِ، فَلَمْ يَزَلْ أَمِيراً عليها حتَّى انْقَضَى أَجَلُهُ.

الكِنْديُّ
والثَّقَافةُ المُبَكِّرةُ

في مَنْـزِلِ والـدِه ، في قَصْـرِ الإمـارةِ

بِالْكُوفةِ ، ولد الِكنْديُّ سنة ١٨٥ هِجْريَّة فـي إحْـدى ليـالـي الشِّتـاءِ المَـاطِـرةِ ، والقَابلةُ التي وَلَّدَتْ أُمَّه أخبرتْ والِدَهُ ، وتَنَبَّأتْ له بأنَّ مَوْلُودَه هذا سوف يكونُ له شأنٌ عَظِيمٌ ، وسَيَكُونُ نابِغَةَ عَصْرِهِ وزَمانِهِ.

وفـي السَّنـةِ السَّـادِسـةِ مـن عُمْـر فَيْلَسُوفِنا الِكنْديِّ تُوفِّي والِدُهُ الأميرُ «إسْحاقُ» إثْرَ مَرَضٍ أَلْزَمَهُ الفِراشَ ثَلاثَةَ أَشْهرٍ ، فلمْ يَبْرأْ منه ، وتُوفِّي على إثْرِهِ.. فَنَشأَ الِكنْديُّ يَتِيمَ الأبِ ، ولم يتسنَّ له عَيْشَ الرَّغَدِ في ظِلِّ أبيه ، وحُرِمَ من العِزِّ ومن قَصْرِ الإمارةِ.

وعاشَ بَعْدَ ذلك تَحْتَ رِعايةِ وإشْرافِ

أُمِّه؛ الَّتي لم تَغِبْ عن بالِها كلماتُ القابلةِ التي وَلَّدَتْها ، ولهذا دَفَعَتْه أُمُّه إلى مَجَالسِ العِلْمِ التي كانَتْ تُعْقَدُ في مَساجِدِ الكُوفةِ ، ودُوْرِها ومَدَارِسِها ، فكان يَقْضِي مُعْظَمَ وَقْتِه مُتَرَدِّداً على شُيُوخِه ، ومُعَلِّمِيه وأَسَاتِذَتِه ، يَنْهَلُ منهم العُلُومَ المُخْتَلِفةَ ، كَعِلْمِ الحَدِيثِ والفِقْهِ والتَّفْسِيرِ ، وعُلُوم اللُّغَةِ والشِّعْرِ العَربيِّ . وبَعْدَ أنْ أَتْقَنَ هذه العُلُومَ ، وشَهِدَ له شُيُوخُه بِبَرَاعَتِه فيها اتَّجَهَ نَحْوَ «عِلْمِ الكَلامِ» ، وانْخَرَطَ في صُفُوفِ المُتكلِّمِينَ ومَجَالِسِهِم يُنَاقِشُهُم ويُجادِلُهم ، ووَجَدَ في عِلْمِ الكَلام ضَالَّتَهُ المَنْشُودةَ؛ لأنَّهُ العِلْمُ الَّذي يَقُومُ على

العَقْلِ ، ويَجْعَلُه المِعْيارَ والحَكَمَ في كُلِّ الأُمُورِ.

غَيْرَ أنَّ الكِنْديَّ كانَ شَغُوفاً بالعَمَلِ والمَعْرفةِ ، فَوَجَدَ أنَّ أَوْساطَ الكُوفةِ ومَجَالِسَها لم تَعُدْ تَرْوي له ظَمَأَهُ بالْعِلْمِ والثَّقَافةِ ، أو تَحُدَّ له تَطَلُّعَاتِهِ الجَمُوحَةَ نَحْوَ كُلِّ جَدِيدٍ يَطْرأُ في العُلُومِ والمَعَارِفِ. ولِهَذَا فَكَّرَ بالذَّهابِ والسَّفَرِ إلى بَغْدادَ عاصِمةِ الخِلافَةِ ، وحَاضِرةِ العِلْمِ الإسْلاميِّ في المَعَارِفِ والثَّقَافاتِ والعُلُومِ ، كَمَا أنَّها مَرْكَزُ الحَضَارةِ الإسْلامِيَّةِ؛ الَّتي بَدَأتْ تَفْرِضُ وُجُودَها على الشُّعُوبِ والأُمَمِ مُنْذُ ذلكَ الحِيْنِ.

الرِّحْلةُ إلى بَغْدادَ

ما إنْ حطَّ «الكِنْديُّ» رِحَالَهُ في بَغْدادَ ، حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ وَسَطَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ من العِلْم والثَّقافةِ ، تَتَلاطَمُ أَمْواجُهُ على سَاحِلٍ زَاخِرٍ بالحَرَكةِ العِلْميَّةِ والثَّقافِيَّةِ النَّاشِطةِ.

فَقَدَ تَوَلَّى المَأْمُونُ الخِلافَةَ ، وكانَتْ حَرَكةُ التَّرْجمةِ قَدْ بَدَأتْ تَأْخُذُ طَرِيْقَها وسطَ الحَياةِ العِلْمِيَّةِ في بَغْدادَ.. فأَكَبَّ الكِنْديُّ يَنْهلُ من هذهِ العُلُومِ والمَعَارفِ بِجِدٍّ ونَشَاطٍ لا نَظِيرَ لَهُما ، وتَعَلَّم عِدَّةَ لُغاتٍ ، وبِشَكْلٍ خَاصٍّ تَمَكَّنَ مِنْ إِتْقانِ اللُّغةِ اليُونانِيَّةِ بِشَكْلٍ مُمْتازٍ ، فَقَرأ كُتُبَ فَلاسِفَتِها ، وأُعْجِبَ بِكُتُبِ أرسطُو في

الفَلْسفةِ والأَخْلاق والمَنْطِقِ والطَّبِيْعةِ ، فَتَرْجَمَ بَعْضَهَا إلى العَرَبيَّةِ ، كَمَا تَرْجَمَ عِدَّةَ كُتُبٍ أُخْرى ، في عِلْم الطِّبِّ والفَلَكِ والرِّياضِيَّاتِ.

وهُنا يَبْرُزُ الدَّوْرُ الكَبِيرُ الَّذِي لَعِبَهُ الكِنْدِيُّ في الحَضَارةِ العَرَبِيَّةِ والإِسْلامِيَّةِ ، حَيْثُ جَعَلَ المَعَارفَ الفَلْسَفِيَّةَ والرِّياضِيَّةَ والفَلَكِيَّةَ والطَّبِيْعِيَّةَ لِلأُمَم الأُخْرى ، مُيَسَّرةً لأَبْناءِ بَلَدِه مِنَ المُثَقَّفِينَ والدَّارِسِينَ في عَصْرِهِ ، بَعْدَ أنْ تَرْجَمَها وَهَذَّبَها ، ووَضَعَها في قالبٍ يَتَوافَقُ مَعَ طَبِيْعةِ الذَّوْقِ العَرَبِيِّ وثَقَافتِهِ الإِسْلامِيَّةِ.

وكانَ دائِماً يُجْرِي المُقَارناتِ بينَ

قَوَاعِدِ الفَلْسفةِ والمَنْطِقِ ، وبَيْنَ أُصُولِ الشَّـرِيعـةِ السَّمْحـةِ ، مُظْهِـراً حَقَـائِـقَ الشَّـرِيعـةِ ، ومُثْبِتـاً عُلُـوَّ كَعْبِهـا علـى الفَلْسَفـةِ إذا تَعَـارَضَـتِ الفَلْسَفـةُ مَـعَ الشَّرِيعةِ ، وهَذِهِ هي الأصالةُ العَرَبِيَّةُ والإِسْلامِيَّةُ في فِكْرِ وفلْسَفةِ الكِنْدِيِّ.

وأَخَذَ اسْمُ الكِنْدِيِّ يَلْمَعُ في سَماءِ الحَياةِ الثَّقافِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ في بَغْدادَ ، وصَارَ مَحَطَّ اهْتِمامِ المُثَقِّفِينَ والعُلَماءِ والفَلاسِفةِ ، وكانَتْ نَفْسُه تَهْفُو إلى إقَامةِ مَكْتَبةٍ عامَّةٍ في بَغْدادَ ، تَحْتَوِي على جَمِيعِ الكُتُبِ العِلْمِيَّة والثَّقَافِيَّةِ من كافَّة الاخْتِصاصاتِ والثَّقَافاتِ.

وبَعْـدَ أن اسْتَطـارَ اسْـمُ الكِنْـدِيِّ في

آفاقِ بَغْدادَ وخَارجِها ، وبَعْدَ أن عَرَفَ فيه أقْرانُه وأَتْرابُه ، العَالِمَ المُتَشَعِّبَ بالثَّقافَةِ ، وسَمِعَ به الخَلِيفةُ العَبَّاسِيُّ المُعْتَصِمُ فاسْتَقْدَمَهُ إلى بَلاطِهِ ، وانْتَدَبَهُ لِتَعْلِيمِ ابْنِه أَحْمَدَ والإشْرافِ على تَهْذِيبِهِ ، وتَقْوِيمِ أَخْلاقِه وعَقْلِه ، فَأَقامَ الكِنْديُّ في قَصْرِ الخِلافةِ ، ونَعِمَ من جَدِيدٍ بِحَياةِ العِزِّ والنَّعِيمِ ، الَّتِي فَقَدَها منذ ماتَ أَبُوه إسْحاقُ وهُو لم يَزَلْ طِفْلاً صَغِيراً لَمْ يَبْلُغِ الحُلُمَ بَعْدُ.

كانَ لِلْكِنْديِّ مَكانةٌ مَرْمُوقةٌ عِندَ الخَلِيفةِ المُعْتَصِمِ ، وَبَعْدَ أَنْ تُوُفِّي المُعْتَصِمُ تَوَلَّى الخِلافةَ مِنْ بَعْدِهِ المُتَوَكِّلُ ، فتعزَّزتْ مَكانةُ الكِنْدِيِّ عِنْدَه

لِمَا عَرَف في الكِنْديِّ من عِلْمٍ غَزيرٍ وجَمٍّ ، ولكنَّ بَعْضَ العُلَماءِ في بَغْدادَ ، حَسَدُوا الكِنْديَّ على هَذِهِ المَكانةِ السَّامِيةِ؛ الَّتِي حَظِيَ بها من الخَليفةِ المُتَوَكِّلِ ، فَبَدَؤُوا يَكِيْدُون له المَكائِدَ ويَنْسُجُونَ له المُؤامَراتِ ، ويُوغِرُونَ صَدْرَ المُتَوَكِّلِ بالفَرِيَّاتِ الَّتي أَشَاعُوها عن الكِنْدِيِّ ، وأَلْصَقُوا به تُهْمةً باطِلةً ، فانْتَهَى الأمرُ بإبْعادِ المُتَوَكِّلِ للفَيْلَسُوفِ الكِنْديِّ عن قَصْرِهِ! وأَمَرَ بَعْضَ العُلَماءِ بالاسْتِيْلاءِ على مَكْتَبةِ الكِنْديِّ التي عُرِفَتْ بالمَكْتبةِ الكِنْديَّةِ وإحْراقِ بَعْضِ كُتُبِه ، وحَجْزِ بَعْضِها الآخرِ.

ولكنَّ الكِنْـديَّ فِيْما بَعْدُ اسْتَطـاعَ أنْ

يَسْتَرِدَّ ما حُجِزَ من كُتُبِه ، وأنْ يَعُودَ كما كان عند المُتَوكِّلِ مَوْضِعَ ثِقَتِه وارْتِياحِهِ لَهُ.

الكِنْديُّ

طَبِيبٌ مُعَالِجٌ نَفْسانِيٌّ

لم يَكُن الكِنْديُّ لِيَقْصُرَ نَفْسَهُ على عِلْمٍ من العُلُوم ، بل كانَ مَوْسُوعةً في جَمِيعِ العُلُومِ؛ الَّتي كانَتْ سَائِدةً في عَصْرِه ، ومِنْها عِلْمُ الطِّبِّ ، فَهُوَ أوَّلُ عَالِمٍ عَرَبِيٍّ ، ويَقْتَحِمُ مَيْدَانَ الطِّبِّ ، بَعْدَ أنْ كان عِلْمُ الطِّبِّ احْتِكاراً في أَيْدِي السِّريان ، والصابِئةِ ، وبَعْضِ الفُرْسِ ، ولِهذا تَعَرَّضَ هذا العالِمُ ، والفَيْلَسُوفُ ، والطَّبِيبُ ، لِلْحَسَدِ مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ من أَطِبَّاءِ

عَصْـرِهِ ، مِـنْ أَبْنَـاءِ المِلَـلِ والأَجْنَـاسِ الأُخْرَى؛ الَّذِين يعْتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَوْصِياءَ عَلَىٰ مِهْنَةِ الطِّبِّ ، وعِلاجِ المَرْضَىٰ ، ويُنْكِرُونَ على غَيْرِهِمْ من العَرَبِ أن يَسِيرَ سَيْرَهُم في مَيْدانِ الطِّبِّ. والسَّببُ في ذلك: أنَّ هَذِه المِهْنَةَ كانَتْ تَدُرُّ عَلَيْهِمُ المَالَ الوَفِيرَ ، والثَّراءَ الفَاحِشَ.

فَكَـانَ الكِنْـدِيُّ أَوَّلَ مَـنْ حَطَّـمَ هـذا الحَاجِزَ ، ومَهَّدَ لِغَيْرِه مِنْ عُلَماءِ العَرَبِ المُسْلِمِيـنَ ؛ وُلُـوجَ هَـذا المَيْـدانِ ، والاشْتِغالِ بالطِّبِّ من أَوْسَعِ الأَبْوابِ.

ولَقَدْ بَرَعَ الكِنْدِيُّ في حَقْلِ الطِّبِّ ، فَكَـانَ يُعـالِـجُ المُصَـابِيـنَ بـالأَمْـراضِ النَّفْسِيَّةِ والعَقْلِيَّة بالمُوسِيقا؛ لأنَّه كانَ

يَعْتَقِدُ أنَّ بَعْضَ النَّغَماتِ المُوْسِيْقيَّةِ تَقْبِضُ النَّفْسَ ، وبَعْضَها يَبْسِطُها ، وأنَّ في النَّغَماتِ المُوسِيْقِيَّةِ ما يُثِيرُ في النَّفْسِ الأَشْجانَ. ومنها ما يُذْهِبُ عنها الأَحْزَانَ. فَهَلْ كانَ فَيْلَسُوفُ الإِسْلامِ الأَوَّلُ مُلِمَّاً بِعِلْمِ النَّفْسِ العِلاجِيِّ؛ الَّذِي ظَهَر في هَذا العَصْرِ الحَدِيثِ؟!

وهَلْ كانَ يُدْرِكُ أنَّ حالةَ الانْبِساطِ النَّفْسِيِّ تَقْضِي على الْقَلَقِ والخَوْفِ؟!

فإنَّ عِلاجَ بَعْضِ الأَمْراضِ النَّفْسِيَّةِ ، وبِطُرُقِ المُوْسِيْقا ، يُعَدُّ اليومَ آخِرَ ما وَصَلَ إليه الطِّبُّ الحَدِيثُ. فَلْنَتَأَمَّلْ إلى أيِّ حَدٍّ وَصَلَ الفِكْرُ العَرَبِيُّ الإِسْلامِيُّ ، في عَصْرٍ مَضَى عليه أَكْثَرُ من أَلْفِ عامٍ؟!

الكِنْدِيُّ

وحِكَمُهُ وأَقْوالُهُ المَأْثُورةُ

كـانَ الكِنْـديُّ يَخْـدُمُ العِلْـمَ ، وأَهْـلَ العِلْمِ ، فكانَ يُؤْمِنُ إيْماناً راسِخاً أنْ ليسَ هناكَ حَدٌّ لِلْمَعْرفةِ ، وأنَّ الإِنْسانَ مَهْمَا أُوتِي مِنْ عِلْمٍ وذَكاءٍ ، فإنَّه يَبْقَى بِحاجَةٍ إلى الاسْتِزادةِ مِنَ العِلْمِ والمَعْرفةِ؛ لأنَّهُ تَبْقَى هُناكَ أُمُورٌ خافِيَةٌ عَلَيْهِ ، وكانَ دائِمَ الذِّكْرِ لِحَديثِ النَّبِيِّ ﷺ:

«الحِكْمةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ أَيْنَما وَجَدَها الْتَقَطَها فَهُوَ أَحَقُّ بِها».

ومِنْ أَقْوَالِ الكِنْديِّ المَأْثُورةِ في هذا المَجَالِ:

١ ـ العَاقِلُ مَنْ يَظُنُّ أنَّ فوقَ عِلْمِهِ عِلْماً ، فَهُو أَبَداً يَتَواضَعُ لتلكَ الزِّيادةِ ، والجَاهِلُ يَظُنُّ أنَّه قد تَنَاهَىٰ ، فَتَمْقُتُهُ النُّفُوسُ لِذَلِكَ.

٢ ـ اعْتَزِلِ الشَّرَّ ، فَإِنَّ الشَّرَّ للِشِّرِّيرِ خَلَفٌ.

٣ ـ اعْصِ الهَوَى ، وأَطِعْ مَنْ شِئْتَ ، ولا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وإنْ كَثُرَ ، ولا تَطْلُبْ حاجَةً إلى الكَذُوبِ ، فإنَّه يُبَعِّدُها وهي قَرِيبةٌ ، ولا إلى جاهِلٍ فإنَّه يَجْعَلُ حاجَتَكَ وِقايةً لِحَاجَتِهِ.

٤ ـ مَنْ لَمْ يَنْبَسِطْ لِحَدِيثِكَ ، فارْفَعْ عَنْهُ مَؤُونةَ الاستِماعِ منكَ.

٥ ـ لا تَنْجُ مِمَّا تَكْرَهُ حَتَّى تَتَمَنَّعَ عن كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ وتُرِيدُ.

كَمَا كانَ الكِنْدِيُّ يَعْتَقِدُ أنَّ العِلْمَ حَصِيلةُ تَرَاكُماتِ جُهُودِ مُخْتَلفِ النَّاسِ والشُّعُوبِ ، في سَعْيِهِم لِمَعْرفةِ العَالمِ والكَوْنِ ، والشُّعُوبُ جَمِيعاً شُرَكاءُ في التُّراثِ العِلْمِيِّ والإنْسانِيِّ.

ونُقِلَ عَنْهُ هذا القَوْلُ الَّذي وَجَّهَهُ إلى الخَلِيفةِ المُعْتَصِمِ في إحْدى رَسائِلِهِ إلَيْهِ:

«يَنْبَغِي أنْ لا تَسْتَحِي من الحَقِّ ، واقْتِناءِ الحَقِّ من أَيْنَ يَأْتي.. وإنْ أَتَى من الأَجْناس القاصِيَةِ عَنَّا ، والمُبَايَنةِ لنا... فإنَّهُ لا شَيْءَ أَوْلى بِطالِبِ الحَقِّ من الحَقِّ... وليسَ يَنْبَغِي بَخْسُ الحَقِّ ،

ولا التَّصْغِيرُ بِقائِلهِ ، ولا بالآتِي به».

وإنَّنا نُلاحِظُ من خِلالِ هَذه الحِكَمِ والنَّصائِحِ والأَقْوَالِ؛ أنَّ الكِنْدِيَّ كان مُتَسَلِّحاً بِثَقافةٍ إسْلامِيَّةٍ نَيِّرةٍ وأَصِيْلةٍ ، ولَمْ يَتَأثَّرْ بِآراءِ الفلاسِفةِ اليُونانِيِّيْنَ ، أو أنْ يَجْعَلَ فَلْسَفَتَهُم تُسَيْطِرُ على عَقْلِهِ وتَفْكِيرِهِ ، وتُلْغِي ثَقَافَتَهُ الإسْلامِيَّةَ؛ ولِهذا يُعْتَبَرُ الكِنْديُّ أوَّلَ فَيْلَسُوفٍ عَربيٍّ وإسلاميٍّ خَرَجَ عن نِطاقِ تَفْكِيرِ الفَلاسفةِ اليُونانِيِّيْن التَّقْليديِّينَ ، وهُوَ الّذي مَهَّدَ للإمامِ الغَزَالِيِّ ـ فيما بَعْدُ ـ أن ينتصرَ على الفَلاسِفةِ ، ويَنْصُرَ الدِّينَ على الشَّرِّ.

وما أَجْمَلَها من كَلِماتٍ ، وما أَبْلَغَهُ من تَصْوِيرٍ ، عِندَما حَدَّدَ الكِنْدِيُّ مهمَّةَ

الفَيْلَسُوفِ ، والغَايةَ من الاشْتِغالِ بالفَلْسفةِ ، فَقَدْ قالَ في رِسالَتِهِ إلى المُعْتَصِمِ:

«إنَّ الفَلْسفةَ من أَشْرفِ العُلُومِ وأَعْلاها ؛ لأنَّ غرضَّ الفيلسوفِ في عِلْمِه: إصابةُ الحَقِّ.

وغَرَضُه في عَمَلِهِ: العَمَلُ بالحَقِّ».

وكانَ الكِنْدِيُّ يَتَحَدَّثُ كَثِيراً عن عَلاقةِ الفَلْسفةِ بالرِّياضِيَّاتِ ، ومِنْ أَقْوالِهِ المَأْثُورةِ في هذا المَجَالِ:

«إنَّ الفَرد لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ فَيْلَسُوفاً إلا إذا أَلَمَّ بِعِلْمِ الرِّياضِيَّات ، وأنَّ الرِّياضِيَّاتِ بِمَثابةِ جِسْرِ الفَلْسَفةِ.

مُؤَلَّفاتُ الكِنْدِيِّ

وآثارُهُ

لم يَتْرُكِ العالِمُ والفَيْلَسُوفُ الجَلِيلُ الكِنْديُّ عِلْماً من العُلُومِ إلا وكَتَبَ فِيهِ.

فَفِي مَجَالِ الفَلْسفةِ أَلَّفَ كِتَابَهُ الشَّهِيرَ؛ الَّذِي أَهْدَاهُ إلى الخَلِيفَةِ المُعْتَصِمِ في الفَلْسَفةِ الأُولى ، وفيه مُجْمَلُ آرائِه ونَظَرِيَّاتِه ، وشُرُوحِه الفَلْسفيَّةِ... كما كَانَتْ رَسائِلُه إلى ابْنِ الخَليفةِ المُعْتَصِمِ أَحْمَدَ بِمَثابةِ آراءٍ فَلْسَفِيَّةٍ وتَرْبَوِيَّةٍ ، أجابَ مِنْ خِلالِها عَنْ بَعْضَ الأَسْئلةِ؛ الَّتي كان يَطْرَحُها عليه ابنُ الخَلِيْفةِ.

ولا يُمكِنُنا أن نَنْسَى ما بَذَلَهُ الكِنْدِيُّ من جُهُودٍ كَبِيرةٍ في نَقْلِ وتَرجَمةِ العَدِيدِ مِنَ الكُتُبِ الفَلْسَفِيَّةِ اليُونانِيَّةِ والهِنْدِيَّةِ ، وجَهْدِه في إعادةِ صِياغَةِ كِتاب «المجسطي» لأرسطو والشَّرحِ عَلَيْهِ.

أمَّا في مَجَال العُلُومِ الأُخْرَى.. فقد ذَكَر له «ابنُ النَّدِيم» في كِتابِهِ «الفِهْرِسْت» مِئَتَيْن وخَمْسةً وسِتِّينَ مُؤَلَّفاً من مُخْتَلف العُلُوم؛ ما بين كتابٍ ورِسالةٍ ، مُوزَّعة على ١٧ نوعاً من العُلُومِ والمَعَارِفِ.

منها ٢٢ مُؤَلَّفاً في عِلْمِ الفَلْسَفةِ ، و١٦ مُؤَلَّفاً في عِلْمِ الفَلَك ، و١٤ مُؤَلَّفاً في عِلْم الحساب ، و٣٢ مُؤَلَّفاً في عِلْمِ

الهَنْدسَةِ ، و٢٢ مُؤَلَّفاً في عِلْمِ الطِّبِّ ، و١٢ مؤَلَّفاً في عِلْمِ الطَّبِيْعِيَّاتِ ، و٧ مُؤَلَّفاتٍ في الموسيقا ، و٥ مُؤَلَّفاتٍ في النَّفْسِ ومُراتِبِها ، و٩ مُؤلَّفاتٍ في المَنْطِقِ.

غيرَ أنَّ يَدَ الزَّمانِ لم تَحْفَظْ لَنَا من مُؤَلَّفات الكِنْديِّ المُشَار إليها إلا ٥٠ مُؤَلَّفاً ما بَيْنَ مَخْطُوطٍ ومَطْبُوعٍ.

مَرَضُ الكِندي
ووَفاتُه

لَقَد كانَ الكِنْديُّ كَثيرَ الحَرَكةِ والنَّشَاطِ ، لا يَكِلُّ ولا يملُّ ، ولم يُعْطِ جِسْمَهُ حَقَّه من الرَّاحةِ ، لا في لَيْلٍ أو

نَهارٍ ، وكان مَحْسُوداً بين أَقْرانِهِ وأَتْرابِهِ ، وبَعْدَ سِنينَ طَويلةٍ من البَحْثِ والتَّأْليفِ والتَّعليمِ ، أُصيبَ بِمَرَضٍ فالجٍ في رِجْلَيْه ، فَقَعَد في فِراشِهِ لا يَسْتَطِيعُ المَشْيَ ولا الحِراكَ ، ولم يَسْتَطِعْ بما أُوتِيَ من عِلْمٍ أن يُداوِيَ نَفْسَهُ ، أو يُعالِجَها. وفي صَبِيحةِ أَحَدِ الأَيَّامِ وافَتْهُ المَنِيَّةُ وهُو في فِراشِهِ ، فماتَ سنة ٢٥٢ هِجْريَّة بَعْدَ أنْ أَمْضَى أكثرَ من خَمْسِين عاماً في طَلَبِ العِلْمِ ، والبَحْثِ ، والتَّأْلِيفِ ، والتَّرْجَمةِ ، والعَطاءِ ، وبَعْدَ أنْ أَدَّى واجِبَهُ نَحْوَ العِلْمِ خَيْرَ أَداءٍ.

قَالُوا
عَنِ الكِنْدِيِّ

قَالَ العَالِمُ الأُوربِّيُّ «باكون» عن الكِنْدِيِّ:

- إنَّ الكِنْدِيَّ والحَسَنَ بنَ الهَيْثَمِ في الصَّفِّ الأَوَّل بَعْدَ بطليموس.

* وقالَ عنه البروفيسور «برنارودلويس» في كِتابه «تارِيخ العَرَب»:

- إنَّ المُسْلِمِينَ في عَهْدِ المَأْمُونِ اهْتَمُّوا بالتَّرْجمةِ، فَتَرْجَمَ الكِنْدِيُّ فَلْسفةَ أرسطو طاليس.

* وقال عنه المُؤرِّخُ «جورج سارتون» في كتابه «المَدْخَل إلى العُلُوم»:

- إنَّ الكِنْدِيَّ من اثْنَي عَشَرَ عَبْقَرِيّاً الَّذين هُمُ الطِّرازُ الأَوَّلُ في الذَّكَاءِ.

* وقالَ عنه الدُّكْتُور «مصطفى الشَّكْعَة» في كِتابه «مَعالِم الحَضَارةِ الإسْلامية»:

- إنَّ الكِنْدِي يُعْتَبَرُ فَيْلَسُوفَ الإسْلام ، وكانَ جَديراً بِهَذا اللَّقَب؛ لأنَّهُ أوَّلُ عَرَبِيٍّ مُسْلِمٍ فَرَضَ نَفْسَهُ بِعَبْقَرِيَّتِه عَلَى العَدِيدِ من العُلُوم ، ووجَّه الفَلْسَفةَ وِجْهةَ الإسْلامِ.

* * *

الأَسْئِلةُ والمُنَاقَشَةُ

١ ـ لِماذا لُقِّبَ الكِنْدِيُّ بِفَيْلَسُوفِ الإِسْلامِ ، وَبِفَيْلَسُوفِ العَرَبِ؟

٢ ـ ماذا كانَ يَعْمَلُ والدُ الكِنْدِيِّ؟.

٣ ـ كيفَ بَدَأَ الكِنْدِيُّ التَّعَلُّمَ ورِحْلَتَهُ الثَّقافِيَّةَ؟.

٤ ـ لِماذا غادَرَ الكِنْدِيُّ الكُوفَة إلى بَغْدادَ؟ وكيفَ وَجَدَ بَغْدَادَ؟.

٥ ـ لماذا كان الصَّابِئَةُ والسّريانُ والفُرْس يُبْعِدُون غَيْرَهُم عن مِهْنَةِ الطِّبِّ؟.

٦ ـ كَيْفَ كانَ الكِنْدِيُّ يُعَالِجُ المَرْضَى النَّفْسانِيِّينَ؟.

٧ ـ هل تَسْتَطِيعُ أن تُعَلِّلَ كيفَ حافَظَ الكِنْدِيُّ على أَصَالَتِه ، وثَقَافَتِهِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ؟.

٨ ـ صِفْ حالةَ الكِنْدِيِّ قَبْلَ وَفاتِهِ .

٩ ـ ماذا يُمْكِنُكَ أن تَسْتَنْتِجَ من هَذِه القِصَّةِ؟.

* * *